خصوصية غسان كنفاني

واذا كان المنهج السابق، في دراسة البطل، يناسب الرواية الفلسطينية في عمومها، نتيجة خصوصيتها المرتبطة بالقضية الوطنيـة، وانطلاقـاً من ارتباط الـرواية ــ كفن موضوعي ــ بالاحداث الكبرى، فإنه، أي المنهج السابق، كما نرى، الانسب لفهم تطور الشخصية ــ البطل، في الأدب الروائي لغسان كنفاني؛ نتيجة لخصوصية غسان الذاتية، التي انعكست بشكل جلي على فنه. تلك الخصوصية، التي تنبع من حساسية غسان المفرطة تجاه الوطن (فلسطين) وكل متعلقاته، فلقد كانت «أنا ــ الوطن» عنده متضخمة للغاية. الوطن هو كل شيء. كل الامور ينظر اليها بعين الوطن. كل الظروف يجب أن تجير لخدمة الوطن. واذا كان هذا هو شعور واحساس غالبية الشعب الفلسطيني، فإنه عند غسان يكتسب اهمية خاصة، لان حس الفنان المبدع لديه، جعل هذا الاحساس الخاص بالوطن، ينعكس على حياته الشخصية، وبالذات جانبها السياسي، ومن ثم على ادبه، بتنويعات مختلفة، الا انها تخدم المحور الاساسي (الوطن ــ القضية)، وتعبر عن آفاقه المتعددة، من خلال رموزه ــ الجماهير.

ففي ميدان الحياة السياسية، كان التزامه بالقضية الوطنية مبكراً، بشكل يلفت الانتباه الى ان في روحه وفكره حساسية مرهفة: «ابتدأت حياتي السياسية، عام ١٩٥٢، عندما كنت في الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من العمر. وفي العام نفسه، او في عام ١٩٥٣، قابلت الدكتور جورج حبش في دمشق صدفة، لأول مرة، كنت اعمل يـومها مصححاً في مطبعة. ولست اذكر من الذي عرفني على الدكتور، غير ان معرفتي به ابتدأت آنذاك، وعلى الفور انخرطت في صفوف حركة القوميين العرب...»(٥). وفي عام ١٩٦٠ ترك العمل في الكويت، ليعمل في مجلة «الحرية» الناطقة بلسان الحركة. ان هذا الحدث له ــ في رأيي ــ دلالة خاصة. فالكويت التي كانت، في ذلك الوقت، محط انظار الباحثين عن الثروة والاستقرار، لايتردد غسان لحظة واحدة، في تركها، تنفيذاً لأمر حزبي، طالما ان هذا الأمر له علاقة بالقضية الوطنية. فالوطن عنده، فوق كل الاعتبارات الشخصية. ويستمر هذا الالتزام، الصلب العنيد، سمة في كل سنوات عمره القصير بعد ذلك. وبعد نكسة ١٩٦٧، التزم بـالعمل في صفـوف الجبهة الشعبيـة لتحريـر فلسطين، وكـانت ــ آنذاك ــ الجناح الفلسطيني لحركة القوميين العرب، وفي عام ١٩٦٩ باشر عمله رئيساً لتحرير مجلة (الهدف)، الناطقة بلسان الجبهة، حتى استشهاده، في يوليو ١٩٧٢، بطريقة بشعة، ثبت منها انه دفع ثمن التزامه بالقضية، وان لقلمـه من الفاعليـة والتأثـير، والبندقية، ان لم يفقها، فقد كان يخيف اعداء الثورة، مما حدا بهم الى اسكات هذا القلم ــ الصوت.

وكذلك في حياته الادبية، كانت كتاباته كافة، تعالج قضية شعبه الوطنية، بشكل يدلل على خصوصيته فائقة الحساسية، تجاه كل ماله علاقة بالوطن. والدارس لأدب غسان تنتابه الدهشـة والذهـول ازاء هذا التـركيز القلمي منـه على محـور القضية ــ الوطن ــ الجماهير. ففي القصة القصيرة (اربع مجموعات)(٦)، وفي الرواية (سبع